الجزء ١٧ الحزب ٣٣

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

﴿ سورة الأنبياء ﴾

[مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية
نزلت بعد سورة إبراهيم]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ اقترب ﴾ قرب ﴿ للناس ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿ حسابهم ﴾ يوم القيامة ﴿ وهم في غفلة ﴾ عنه ﴿ معرضون ﴾ عن التأهب له بالإيمان .

٢ ـ ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزئون .

٣ ـ ﴿ لاهية ﴾ غافلة ﴿ قلوبهم ﴾ عن معناه ﴿ وأسرّوا النجوى ﴾ الكلام ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو « وأسروا النجوى » ﴿ هل هذا ﴾ أي محمد ﴿ إلا بشر مثلكم ﴾ فما يأتي به سحر ﴿ أفتأتون السحر ﴾ تتبعونه ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ تعلمون أنه سحر .

٤ ـ ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ ربي يعلم القول ﴾ كائناً ﴿ في السماء والأرض ، وهو السميع ﴾ لما أسروه ﴿ العليم ﴾ به .

٥ ـ ﴿ بل ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿ قالوا ﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿ أضغاث أحلام ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿ بل افتراه ﴾ اختلقه ﴿ بل هو شاعر ﴾ فما أتى به شعر ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ كالناقة والعصا واليد قال تعالى :

٦ ـ ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ أي أهلها ﴿ أهلكناها ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ لا .

٧ ـ ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ﴾ ﴿ نوحي ﴾ وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿ إليهم ﴾ لا ملائكة ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه ، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد .

٨ ـ ﴿ وما جعلناهم ﴾ أي الرسل ﴿ جسداً ﴾ بمعنى أجساداً ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ بل يأكلونه ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ في الدنيا .

٩ ـ ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ بإنجائهم ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ المصدقين لهم ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ المكذبين لهم .

١٠ ـ ﴿ لقد أنزلنا إليكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ كتاباً فيه ذكركم ﴾ لأنه بلغتكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنوا بـه .

فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال : ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال : بلى ، قال : فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، فنزلت .

﴿ سورة النور ﴾

أسباب نزول الآية ٣ : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ ، أخرج النسائي عن عبدالله بن عمرو قال : كانت امرأة يقال لها أمّ مهزول ، وكانت تسافح ، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها ، فأنزل الله ﴿ الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتيهم ، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق ، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها ، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ الآية ، فقال رسول الله ﷺ : يا مزيد ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ الآية ، فلا تنكحها . وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال : لما حرم

وَكَم قَصَمنَا مِن قَريَةٍ كَانَت ظَالِمَةً وَأَنشَأنَا بَعدَهَا قَومًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأسَنَا إِذَا هُم مِّنهَا يَركُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَركُضُوا وَارجِعُوا إِلَىٰ مَا أُترِفتُم فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُم لَعَلَّكُم
تُسـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَٰوَيلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلكَ
دَعوَىٰهُم حَتَّىٰ جَعَلنَٰهُم حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقنَا
السَّمَاءَ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَو أَرَدنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهوًا
لَّاتَّخَذنَٰهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ
عَلَى البَٰطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَمَن عِندَهُ لَا يَستَكبِرُونَ
عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَستَحسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الأَرضِ هُم يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَو كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ العَرشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسـَٔلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُل هَاتُوا بُرهَٰنَكُم هَٰذَا ذِكرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكرُ مَن قَبلِي بَل أَكثَرُهُم لَا يَعلَمُونَ الحَقَّ فَهُم مُّعرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١ ـ ﴿ وكم قصمنا ﴾ أهلكنا ﴿ من قرية ﴾ أي أهلها ﴿ كانت ظالمة ﴾ كافرة ﴿ وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾ .

١٢ ـ ﴿ فلما أحسُّوا بأسنا ﴾ شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿ إذا هم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين .

١٣ ـ فقالت لهم الملائكة استهزاء ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم ﴾ نعمتم ﴿ فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ شيئاً من دنياكم على العادة .

١٤ ـ ﴿ قالوا يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ بالكفر .

١٥ ـ ﴿ فما زالت تلك ﴾ الكلمات ﴿ دعواهم ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿ حتى جعلناهم حصيداً ﴾ كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف ﴿ خامدين ﴾ ميتين كخمود النار إذا طفئت .

١٦ ـ ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا .

١٧ ـ ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً ﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد ﴿ لاتخذناه من لدنا ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿ إن كنا فاعلين ﴾ ذلك ، لكنا لم نفعله فلم نُرده .

١٨ ـ ﴿ بل نقذف ﴾ نرمي ﴿ بالحق ﴾ الإيمان ﴿ على الباطل ﴾ الكفر ﴿ فيدمغه ﴾ يذهبه ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ ذاهب ، ودمغه في الأصل : أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل ﴿ ولكم ﴾ يا كفار مكة ﴿ الويْل ﴾ العذاب الشديد ﴿ مما تصفون ﴾ الله به من الزوجة أو الولد .

١٩ ـ ﴿ وله ﴾ تعالى ﴿ من في السماوات والأرض ﴾ ملكاً ﴿ ومن عنده ﴾ أي الملائكة مبتدأ خبره ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ لا يعيون . ٢٠ ـ ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل .

٢١ ـ ﴿ أم ﴾ بمعنى بل للانتقال والهمزة للإنكار ﴿ اتخذوا آلهة ﴾ كائنة ﴿ من الأرض ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿ هم ﴾ أي الآلهة ﴿ يُنْشِرون ﴾ أي يحيون الموتى ؟ لا ، ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى . ٢٢ ـ ﴿ لو كان فيهما ﴾ أي السماوات والأرض ﴿ آلهة إلا الله ﴾ أي غيره ﴿ لفسدتا ﴾ أي خرجتا عن نظامهما المشاهد ، لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿ فسبحان ﴾ تنزيه ﴿ الله رب ﴾ خالق ﴿ العرش ﴾ الكرسي ﴿ عما يصفون ﴾ الكفار الله به من الشريك له وغيره . ٢٣ ـ ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴾ عن أفعالهم . ٢٤ ـ ﴿ أم اتخذوا من دونه ﴾ تعالى أي سواه ﴿ آلهة ﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿ هذا ذكر من معي ﴾ أمتي وهو القرآن ﴿ وذكر من قبلي ﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا ، تعالى عن ذلك ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ توحيد الله ﴿ فهم معرضون ﴾ عن النظر الموصل إليه .

الله الزنا ، فكان زوان عندهن جمال ، فقال الناس : لينطلقن فليتزوجن ، فنزلت .

أسباب نزول الآية ٦ : قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ الآية ، أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف

ربع الحزب ٣٣

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٢٥ - ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي** ﴾ وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿ **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدونِ** ﴾ أي وحدوني .

٢٦ - ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً** ﴾ من الملائكة ﴿ **سبحانه بل** ﴾ هم ﴿ **عباد مكرمون** ﴾ عنده والعبودية تنافي الولادة .

٢٧ - ﴿ **لا يسبقونه بالقول** ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿ **وهم بأمره يعملون** ﴾ أي بعده .

٢٨ - ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ تعالى أن يشفع له ﴿ **وهم من خشيته** ﴾ تعالى ﴿ **مشفقون** ﴾ خائفون .

٢٩ - ﴿ **ومن يقل منهم إني إله من دونه** ﴾ أي الله أي غيره ، وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿ **فذلك نجزيه جهنم كذلك** ﴾ كما نجزيه ﴿ **نجزي الظالمين** ﴾ أي المشركين .

٣٠ - ﴿ **أو لم** ﴾ بواو وتركها ﴿ **يرَ** ﴾ يعلم ﴿ **الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقاً** ﴾ سداً بمعنى مسدودة ﴿ **ففتقناهما** ﴾ جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً ، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت ، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿ **وجعلنا من الماء** ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿ **كل شيءٍ حيّ** ﴾ من نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته ﴿ **أفلا يؤمنون** ﴾ بتوحيدي .

٣١ - ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي** ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿ **أن** ﴾ لا ﴿ **تميد** ﴾ تتحرك ﴿ **بهم وجعلنا فيها** ﴾ الرواسي ﴿ **فجاجاً** ﴾ مسالك ﴿ **سبلاً** ﴾ بدل ، طرقاً نافذة واسعة ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار . **٣٢** - ﴿ **وجعلنا السماء سقفاً** ﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿ **محفوظاً** ﴾ عن الوقوع ﴿ **وهم عن آياتها** ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿ **معرضون** ﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له . **٣٣** - ﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل** ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿ **في فلك** ﴾ أي مستدير كالطاحونة في السماء ﴿ **يَسْبحونَ** ﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء ، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل . **٣٤** - ونزل لما قال الكفار إن محمداً سيموت : ﴿ **وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد** ﴾ أي البقاء في الدنيا ﴿ **أفائن مت فهم الخالدون** ﴾ **فيها** ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري . **٣٥** - ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ في الدنيا ﴿ **ونبلوكم** ﴾ نختبركم ﴿ **بالشر والخير** ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿ **فتنة** ﴾ مفعول له ، أي لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا ﴿ **وإلينا ترجعون** ﴾ فنجازيكم .

امرأته عند النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : البينة أو حدّ في ظهرك ، فقال : يارسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : البينة أو حد في ظهرك ، فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد ، فنزل جبريل ، فأنزل الله عليه ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إن كان من الصادقين ﴾ . وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار : أهكذا نزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ قالوا : يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور ، والله ما تزوج امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته ، فقال سعد : والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ
لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦ - ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن ﴾ ما ﴿ يتخذونك إلا هزؤاً ﴾ أي مهزوءاً به يقولون ﴿ أهذا الذي يذكر آلهتكم ﴾ أي يعيبها ﴿ وهم بذكر الرحمن ﴾ لهم ﴿ هم ﴾ تأكيد ﴿ كافرون ﴾ به إذ قالوا ما نعرفه .

٣٧ - ونزل في استعجالهم العذاب ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ أي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿ سأريكم آياتي ﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿ فلا تستعجلون ﴾ فيه فأراهم القتل ببدر .

٣٨ - ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بالقيامة ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيه .

٣٩ - قال تعالى ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون ﴾ يدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك .

٤٠ - ﴿ بل تأتيهم ﴾ القيامة ﴿ بغتة فتبهتهم ﴾ تحيرهم ﴿ فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة .

٤١ - ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فحاق ﴾ نزل ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك .

٤٢ - ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ من يكلؤكم ﴾ يحفظكم ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾ من عذابه إن نزل بكم ، أي : لا أحد يفعل ذلك ، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾ أي القرآن ﴿ معرضون ﴾ لا يتفكرون فيه .

٤٣ - ﴿ أم ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار : أي أ ﴿ لهم آلهة تمنعهم ﴾ مما يسوؤ هم ﴿ من دوننا ﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا ؟ لا ﴿ لا يستطيعون ﴾ أي الآلهة ﴿ نصر أنفسهم ﴾ فلا ينصرونهم ﴿ ولا هم ﴾ أي الكفار ﴿ منا ﴾ من عذابنا ﴿ يصحبون ﴾ يجارون ، يقال صحبك الله : أي حفظك وأجارك . ٤٤ - ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ فاغتروا بذلك ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ﴾ نقصد أرضهم ﴿ ننقصها من أطرافها ﴾ بالفتح على النبي ﴿ أفهم الغالبون ﴾ ؟ لا ، بل النبي وأصحابه .

أنحيه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء ، فوالله لا آتي بهن حتى يقضي حاجته قال : فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ ، وقال له : إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة ، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس ، فقال هلال : والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً ، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه ، أنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي ، فنزلت ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ . الآية . وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس . وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال : اسأل لي رسول الله ﷺ ، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله ، أيقتل به ؟ أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ ، فعاب رسول الله ﷺ السائل فلقيه عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت ، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل ، فقال عويمر : فوالله لآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنه ، فسأله فقال :

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

٤٥ - ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إنما أنذركم بالوحي ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ ما ينذرون ﴾ هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم .

٤٦ - ﴿ ولئن مسّتهم نفحة ﴾ وقعة خفيفة ﴿ من عذاب ربك ليقولن يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد .

٤٧ - ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ ذوات العدل ﴿ ليوم القيامة ﴾ أي فيه ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿ وإن كان ﴾ العمل ﴿ مثقال ﴾ زنة ﴿ حبة من خردل أتينا بها ﴾ بموزونها ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ مُحْصِين كل شيء .

٤٨ - ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿ وضياءً ﴾ بها ﴿ وذكراً ﴾ عظة بها ﴿ للمتقين ﴾ .

٤٩ - ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿ وهم من الساعة ﴾ أي أهوالها ﴿ مشفقون ﴾ خائفون .

٥٠ - ﴿ وهذا ﴾ أي القرآن ﴿ ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ .

٥١ - ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ﴾ أي هداه قبل بلوغه ﴿ وكنا به عالمين ﴾ بأنه أهل لذلك .

٥٢ - ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾ الأصنام ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾ أي على عبادتها مقيمون . ٥٣ - ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم. ٥٤ - ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم ﴾ بعبادتها ﴿ في ضلال مبين ﴾ بيّن . ٥٥ - ﴿ قالوا أجئتنا بالحق ﴾ في قولك هذا ﴿ أم أنت من اللاعبين ﴾ فيه . ٥٦ - ﴿ قال بل ربكم ﴾ المستحق للعبادة ﴿ رب ﴾ مالك ﴿ السماوات والأرض الذي فطرهن ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿ وأنا على ذلكم ﴾ الذي قلته ﴿ من الشاهدين ﴾ به . ٥٧ - ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ .

إنه أنزل فيك وفي صاحبتك الآيات الحديث . قال الحافظ ابن حجر : اختلفت الأئمة في هذه المواضع ، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً ، فنزلت في شأنهما معاً ، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد ، قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال ، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم ، ولهذا قال في قصة هلال ، فنزل جبريل ، وفي قصة عويمر : قد أنزل الله فيك ، فيؤول قوله قد أنزل الله فيك ، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك ، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل ، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين ، وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به ، قال : كنت فاعلاً به شراً ، قال : وأنت يا عمر ؟ قال : كنت أقول : لعن الله الأعجز وإنه لخبيث ، فنزلت . قال الحافظ ابن حجر : لا مانع من تعدد الأسباب .

أسباب نزول الآية ١١ - ٢١ : قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك ﴾ الآيات . أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ
عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨ - ﴿ فجعلهم ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿ جُذاذاً ﴾ بضم الجيم وكسرها : فتاتاً بفأس ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿ لعلهم إليه ﴾ أي إلى الكبير ﴿ يرجعون ﴾ فيرون ما فعل بغيره .

٥٩ - ﴿ قالوا ﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿ من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ فيه .

٦٠ - ﴿ قالوا ﴾ أي بعضهم لبعض ﴿ سمعنا فتى يذكرهم ﴾ أي يعيبهم ﴿ يقال له إبراهيم ﴾ .

٦١ - ﴿ قالوا فأتوا به على أعين الناس ﴾ أي ظاهراً ﴿ لعلهم يشهدون ﴾ عليه أنه الفاعل .

٦٢ - ﴿ قالوا ﴾ له بعد إتيانه ﴿ أأنت ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾ .

٦٣ - ﴿ قال ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ﴾ عن فاعله ﴿ إن كانوا ينطقون ﴾ فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً .

٦٤ - ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾ بالتفكر ﴿ فقالوا ﴾ لأنفسهم ﴿ إنكم أنتم الظالمون ﴾ بعبادتكم من لا ينطق .

٦٥ - ﴿ ثم نكسوا ﴾ من الله ﴿ على رؤوسهم ﴾ أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله ﴿ لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم .

٦٦ - ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ﴾ أي بدله ﴿ ما لا ينفعكم شيئاً ﴾ من رزق وغيره ﴿ ولا يضركم ﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه . ٦٧ - ﴿ أفٍ ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها ، وإنما يستحقها الله تعالى . ٦٨ - ﴿ قالوا حرِّقوه ﴾ أي إبراهيم ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ أي بتحريقه ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار قال تعالى : ٦٩ - ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه ، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله « وسلاماً » سلم من الموت ببردها . ٧٠ - ﴿ وأرادوا به كيداً ﴾ وهو التحريق ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ في مرادهم .
٧١ - ﴿ ونجيناه ولوطاً ﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم . ٧٢ - ﴿ ووهبنا له ﴾ أي لإبراهيم وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافات ﴿ إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ أي زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد ﴿ وكلاً ﴾ أي هو وولداه ﴿ جعلنا صالحين ﴾ أنبياء .

أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه ، قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحّلوه ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي عندما سار الجيش ، فجئت

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا
عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣ ـ ﴿ وجعلناهم أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿ يهدون ﴾ الناس ﴿ بأمرنا ﴾ إلى ديننا ﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم ، وحذف هاء إقامة تخفيف ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ .

٧٤ ـ ﴿ ولوطاً آتيناه حكماً ﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿ وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل ﴾ أي أهلها الأعمال ﴿ الخبائث ﴾ من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿ إنهم كانوا قوم سوء ﴾ مصدر ساءه نقيض سرّه ﴿ فاسقين ﴾ .

٧٥ ـ ﴿ وأدخلناه في رحمتنا ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿ إنه من الصالحين ﴾ .

٧٦ ـ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ نوحاً ﴾ وما بعده بدل منه ﴿ إذ نادى ﴾ دعا على قومه بقوله « رب لا تذر » الخ ﴿ من قبل ﴾ أي قبل إبراهيم ولوط ﴿ فاستجبنا له فنجيناه وأهله ﴾ الذين في سفينته ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له .

٧٧ ـ ﴿ ونصرناه ﴾ منعناه ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ .

٧٨ ـ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ داود وسليمان ﴾ أي قصتهما ويبدل منهما ﴿ إذ يحكمان في الحرث ﴾ هو زرع أو كرم ﴿ إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين ، قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال سليمان : ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه . ٧٩ ـ ﴿ ففهمناها ﴾ أي الحكومة ﴿ سليمان ﴾ وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للأول ﴿ وكلاً ﴾ منهما ﴿ آتينا ﴾ ه ﴿ حكماً ﴾ نبوة ﴿ وعلماً ﴾ بأمور الدين ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له ﴿ وكنا فاعلين ﴾ تسخير تسبيحهما معه ، وإن كان عجباً عندكم : أي مجاوبته للسيد داود . ٨٠ ـ ﴿ وعلمناه صنعة لَبُوسٍ ﴾ وهي الدرع لأنها تلبس ، وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿ لكم ﴾ في جملة الناس ﴿ لتحصنكم ﴾ بالنون لله وبالتحتانية لداود وبالفوقانية للبوس ﴿ من بأسكم ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿ فهل أنتم ﴾ يا أهل مكة ﴿ شاكرون ﴾ نعمي بتصديق الرسول : أي اشكروني بذلك . ٨١ ـ ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ لسليمان الريح عاصفة ﴾ وفي آية أخرى : رخاء ، أي شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿ تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ وهي الشام ﴿ وكنا بكل شيء عالمين ﴾ من ذلك علم الله تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه .

منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل قد عرّس وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل أن

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢ - ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ من الشياطين من يغوصون له ﴾ يدخلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿ ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ أي سوى الغوص من البناء وغيره ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا ، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره .

٨٣ - ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ أيوب ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ نادى ربه ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة وضيق عيشه ﴿ أني ﴾ بفتح الهمزة بتقدير الياء ﴿ مسّني الضرُّ ﴾ أي الشدة ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ .

٨٤ - ﴿ فاستجبنا له ﴾ نداءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ﴾ أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع ﴿ ومثلهم معهم ﴾ من زوجته وزيد في شبابها ، وكان له أندر للقمح وأندر[1] للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض ﴿ رحمة ﴾ مفعول له ﴿ من عندنا ﴾ صفة ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ ليصبروا فيثابوا .

٨٥ - ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه .

٨٦ - ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ من النبوة ﴿ إنهم من الصالحين ﴾ لها وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبياً . ٨٧ - ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ ذا النون ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه ﴿ إذ ذهب مغاضباً ﴾ لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت ، أو نضيق عليه بذلك ﴿ فنادى في الظلمات ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن . ٨٨ - ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ بتلك الكلمات ﴿ وكذلك ﴾ كما نجيناه ﴿ ننجي المؤمنين ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين . ٨٩ - ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ زكريا ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ نادى ربه ﴾ بقوله ﴿ رب لا تذرني فرداً ﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ الباقي بعد فناء خلقك . ٩٠ - ﴿ فاستجبنا له ﴾ نداءه ﴿ ووهبنا له يحيى ﴾ ولداً ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿ إنهم ﴾ أي من ذُكر من الأنبياء ﴿ كانوا يسارعون ﴾ يبادرون ﴿ في الخيرات ﴾ الطاعات ﴿ ويدعوننا رغباً ﴾ في رحمتنا ﴿ ورهباً ﴾ من عذابنا ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ متواضعين في عبادتهم .

يضرب عليَّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ، فوطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني ، وكان

---

(١) الأندر: البيدر.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩١ - ﴿ و ﴾ اذكر مريم ﴿ التي أحصنت فرجها ﴾ حفظته من أن ينال ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿ وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل .

٩٢ - ﴿ إن هذه ﴾ أي ملة الإسلام ﴿ أمتكم ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ حال لازمة ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ وحِّدون .

٩٣ - ﴿ وتقطَّعوا ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿ أمرهم بينهم ﴾ أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه ، وهم طوائف اليهود والنصارى قال تعالى : ﴿ كل إلينا راجعون ﴾ أي فنجازيه بعمله .

٩٤ - ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران ﴾ أي لا جحود ﴿ لسعيه وإنا له كاتبون ﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه .

٩٥ - ﴿ وحرام على قرية أهلكتاها ﴾ أريد أهلها ﴿ أنهم لا ﴾ زائدة ﴿ يرجعون ﴾ أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا .

٩٦ - ﴿ حتى ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿ إذا فتحت ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ، ويقدر قبله مضاف أي سدهما وذلك قرب القيامة ﴿ وهم من كل حدب ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون .

٩٧ - ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فإذا هي ﴾ أي القصة ﴿ شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ في ذلك اليوم لشدته ، يقولون ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ قد كنا ﴾ في الدنيا ﴿ في غفلة من هذا ﴾ اليوم ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل .

٩٨ - ﴿ إنكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ وما تعبدون من دون الله ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ حصب جهنم ﴾ وقودها ﴿ أنتم لها واردون ﴾ داخلون فيها . ٩٩ - ﴿ لو كان هؤلاء ﴾ الأوثان ﴿ آلهة ﴾ كما زعمتم ﴿ ما وردوها ﴾ دخلوها ﴿ وكل ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿ فيها خالدون ﴾ . ١٠٠ - ﴿ لهم ﴾ للعابدين ﴿ فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ شيئاً لشدة غليانها . ونزل لما قال ابن الزبعري عُبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم : ١٠١ - ﴿ إن الذين سبقت لهم منا ﴾ المنزلة ﴿ الحسنى ﴾ ومنهم من ذكر ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾ .

الذي تولى كبره عبدالله بن أبيّ بن سلول ، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت مع أمّ مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئس ما قلت ، تسبين رجلاً شهد بدراً ؟ قالت : أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ، قلت : وماذا قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما دخل عليَّ رسول الله ﷺ قلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ، وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي ، فجئت أبوي ، فقلت لأمي : يا أماه ما يتحدث الناس ؟ قالت : أي بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قلت : سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ! فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله ، فقال يا رسول الله : هم أهلك

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ — ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

١٠٢ - ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ صوتها ﴿ وهم في ما اشتهت أنفسهم ﴾ من النعيم ﴿ خالدون ﴾ .

١٠٣ - ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿ وتتلقاهم ﴾ تستقبلهم ﴿ الملائكة ﴾ عند خروجهم من القبور يقولون لهم ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ في الدنيا .

١٠٤ - ﴿ يوم ﴾ منصوب باذكر مقدراً قبله ﴿ نطوي السماء كطيِّ السجل ﴾ اسم ملك ﴿ للكتاب ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفي قراءة للكتب جمعاً ﴿ كما بدأنا أول خلق ﴾ من عدم ﴿ نُعيده ﴾ بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية ﴿ وعداً علينا ﴾ منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾ ما وعدناه .

١٠٥ - ﴿ ولقد كتبنا في الزبور ﴾ بمعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة ﴿ من بعد الذكر ﴾ بمعنى أم الكتاب الذي عند الله ﴿ أن الأرض ﴾ أرض الجنة ﴿ يرثها عبادي الصالحون ﴾ عام في كل صالح .

١٠٦ - ﴿ إن في هذا ﴾ القرآن ﴿ لبلاغاً ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿ لقوم عابدين ﴾ عاملين به .

١٠٧ - ﴿ وما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رحمة ﴾ أي للرحمة ﴿ للعالمين ﴾ الإنس والجن بك .

١٠٨ - ﴿ قل إنما يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ﴾ أي ما يوحى إليَّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ منقادون لما يوحى إليَّ من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر . ١٠٩ - ﴿ فإن تولَّوْا ﴾ عن ذلك ﴿ فقل آذنتكم ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿ على سواء ﴾ حال من الفاعل والمفعول ، أي مستوين في علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا ﴿وإن﴾ ما ﴿أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله . ١١٠ - ﴿ إنه ﴾ تعالى ﴿ يعلم الجهر من القول ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿ ويعلم ما تكتمون ﴾ أنتم وغيركم من السر . ١١١ - ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ أدري لعله ﴾ أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿ فتنة ﴾ اختبار ﴿ لكم ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿ ومتاع ﴾ تمتع ﴿ إلى حين ﴾ أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثاني محلاً للترجي . ١١٢ - ﴿ قل ﴾ وفي قراءة قال ﴿ رب احكم ﴾ بيني وبين مكذبي ﴿ بالحق ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم ، فعذبوا ببدر وأحد وحنين والأحزاب والخندق ونصر عليهم ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ من كذبكم على الله في قولكم « اتخذ ولداً » وعليَّ في قولكم : ساحر ، وعلى القرآن في قولكم : شعر .

ولا نعلم إلا خيراً ، وأما عليّ فقال : لن يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، فدعا بريرة فقال : أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ، فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ

﴿ سورة الحج ﴾

[مدنية إلا الآيات ٥٢و ٥٣و ٥٤و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿ إنَّ زلزلة الساعة ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿ شيء عظيم ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب .

٢ - ﴿ يوم ترونها تذْهَلُ ﴾ بسببها ﴿ كل مرضعة ﴾ بالفعل ﴿ عما أرضعت ﴾ أي تنساه ﴿ وتضع كل ذات حمل ﴾ أي حبلى ﴿ حملها وترى الناس سكارى ﴾ من شدة الخوف ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الشراب ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فهم يخافونه .

٣ - ونزل في النضر بن الحارث وجماعته : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ قالوا : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿ ويتّبع ﴾ في جداله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أي متمرد .

٤ - ﴿ كتب عليه ﴾ قضي على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ أي اتبعه ﴿ فأنه يضله ويهديه ﴾ يدعوه ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ أي النار .

٥ - ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ إن كنتم في ريب ﴾ شك ﴿ من البعث فإنا خلقناكم ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ من تراب ثم ﴾ خلقنا ذريته ﴿ من نطفة ﴾ منيّ ﴿ ثم من علقة ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿ مخلَّقة ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿ وغير مخلَّقة ﴾ أي غير تامة الخلقة ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿ونُقِرُّ ﴾ مستأنف ﴿ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ وقت خروجه ﴿ ثم نخرجكم ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ طفلاً ﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ ثم ﴾ نُعَمِّركم ﴿ لتبلغوا أشدكم ﴾ أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿ ومنكم من يُتوفى ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد . ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ يابسة ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴾ تحركت ﴿ وَرَبَتْ ﴾ ارتفعت وزادت ﴿ وأنبتت من ﴾ زائدة ﴿ كلّ زوج ﴾ صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن .

وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها فجلست تبكي معي ، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء ، فتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه فلما قضى مقالته قلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فقال : والله ما أدري ما أقول ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ فقالت : والله ما أدري ما أقول ، فقلت وأنا جارية حديثة السن : والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم : إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني ، وفي رواية : ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى